

15-تاريخ تحليل الخطاب من منظور باتريك شارودو و دومينيك مانغونو:

يقول الدارسان في معجمهما الموسوم بتحليل الخطاب: "و لم ينشأ تحليل الخطاب داخل علوم اللغة عن فعل مؤسس ، ولكنه أتى من التقاء تيارات منطلقاتها شديدة الاختلاف ظهرت في أوروبا و أمريكا في الستينيات، ولا يزال الالتقاء يتطور يوما بعد يوم، وكلها تدور على دراسة الإنجازات المتجاوزة للجملة شفويا كان الإنجاز أو مكتوبا بغية فهم دلالتها الاجتماعية ، و لما كان قسم كبير من هذه الأبحاث تطور حول ميادين تجريبية كان لا بد لها من إيجاد مصطلحات محلية ، و قد تم ذلك في الغالب بجهل ما كان يقع في ميادين مجاورة ."(1).

و بداية من الثمانينيات ازداد الأمر أهمية، فيما وقع في التسعينات تعميم ذلك الحواجز بين مختلف التيارات التي اتخذت من الخطاب موضوعا لها، و كانت فرنسا أحد المراكز الكبرى التي تطور فيها تحليل الخطاب .

قدمت أعمال المدرسة الفرنسية (في الستينيات) ، و أفكار فوكو (الواردة في كتابه أركيولوجيا المعرفة) صورة ناصعة عن الأبحاث الفرنكوفونية، و لكن لم يتم ذلك دون خسارة، ذلك أن هذه الإشكالات أسهمت أيضا في حجب التنوع الكبير، الذي كانت عليه الأعمال المنجزة في فرنسا على مدونات شديدة الاختلاف ، و بمقاربات كذلك .

أما اليوم فقد أصبح تحليل الخطاب عالميا و بنشر الأعمال تتسع دائرته يوما بعد يوم ، و ربط الصلة ربطا يقوى باستمرار بين تيارات كان بعضها فيما مضى يجهل بعضها، ولا يستلزم تماثل الإشكاليات و المصطلحات ، فالعالمية تسير بالأحرى في اتجاه تكوين شبكات " فالمعتنقون لهذا الشكل في تحليل الخطاب أو ذلك يتوزعون على عدد من البلدان كبير ."(2).

¹ - باتريك شارودو و دومينيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب بالاشتراك مع آخرين ، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود مراجعة صلاح الدين الشريف ، دار سناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، (دط) ، 2008، ص9.

² - المرجع السابق، ص10.

و يقولان أيضا ⁽³⁾ : من العسير أن نستعرض تاريخ تحليل الخطاب لأنه لا يمكن اعتباره متأثرا عن عمل تأسيسى، و لأنه ناتج في آن واحد عن تضافر تيارات حديثة، وتجديد لممارسات قديمة جدا في دراسات النصوص (بلاغية ، و فقه لغوية و هرمينوطيقية).

1- المرحلة الأولى : جاء مصطلح تحليل الخطاب عن فصل ز.س. هاريس (1952) ويقصد به توسيع الطرق التوزيعية التقليدية لتشمل ما فوق الجمل من وحدات .

2- المرحلة الثانية: احتلت هذه المرحلة أواسط الستينيات من القرن العشرين، أين ارتسمت فيها ملامح التيارات نحو:

- علم أنثولوجية التواصل (مع قمبرز و هايمز سنة 1964).
- التحليل التحادثي ذو النزعة الإثنية المنهجية (مع قارقنكال سنة 1967).
- المدرسة الفرنسية.
- نمو التيارات التداولية .
- نظريات التلفظ و اللسانيات النصية .
- أصناف من التفكير (مثل تفكير ميشال فوكو " 1969 -" وميخائيل باختين).
- و تحت عنوان انبعاث فن ذكر الدارسان قولهما : (يميل بعضهم إلى ألا يروا في تحليل الخطاب فضاء انتقاليا ، وحقلا طفيليا للسانيات، أو علم الاجتماع ، أو علم النفس، فكل هذه الحقول تمثل لديهم فنونا حقيقية .
- و يرى آخرون فيه - باستحياء من المدرسة الفرنسية خاصة- ضربا من الفضاء النقدي، وموقع تساؤل و تجريب ممكن للقضايا التي تعترض الفنون القائمة بذاتها، أن تصاغ فيه مع تحويل مجراها ، و في هذه الحالة يقترب وضعها من وضع الفلسفة .
- و في هذه الحالة أو تلك يتعلق الأمر بفضاء لطرح الإشكاليات أكثر مما يتعلق بفن حقيقي، لكن تاريخ تحليل الخطاب منذ الستينيات يدل على أن الصبغة الفنية لتحليل الخطاب ما انفكت تندعم. ومن الأكيد أنه إذا كان له في البداية - خاصة - مرمى نقديا ، فإنه وسع تدريجيا حقل الدراسة ليشمل مجموع الإنتاجات اللغوية، و وضع جهازا مفهوميا

³ - المرجع نفسه، ص44.

خصوصيا، و بعث بين مختلف تياراته حوارا متزايدا، و حدد طرقا مختلفة عن طرق تحليل المحتوى أو المقاربات الهرمينوطيقية التقليدية ...

إن وجود فن من قبيل تحليل الخطاب ليس في ذاته ظاهرة غير ذات بال، فلأول مرة في التاريخ أصبح مجموع ملفوظات مجتمع ما متصورة في تعدد أجناسها موضوعا للدراسة ، و هذه الحركة تقضي في حد ذاتها وجود نسق خطاب خصوصي " إن ما هو معنى هنا ليس تحييدا للخطاب باتخاذ علامة على شيء آخر نحو اختراق سماكته ليصل المرء إلى ما يبقى صامتا دونه و الاحتفاظ بكثافته و إبراز ما له من تعقد خاص به " (فوكو 1969)⁽⁴⁾.

⁴ - المرجع السابق : ص 47.